



ستة أشياء تُغلق باب التوفيق

روائع

2021-01-28

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْقَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَبَارِكْ لَنَا بِشَيْخَانَا وَبِحَيَاتِهِ وَبِعَمْرِهِ.

أحبابنا الكرام: ذكر ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه الفوائد عن شقيق البلخي أنه قال: أُغْلِقْ بَابُ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ، أَي بِسَبَبِ أَشْيَاءَ سِتَّةَ، مَا هَذِهِ السِتَّةُ الَّتِي تُغْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ؟

1- اسْتَغَالُهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا

إخواننا الأحياء: اليوم كثراً في ضيافة أختنا، وقَدَّمْ لَنَا مَا قَدَّمَ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَالآن لَوْ افْتَرَضْنَا أَنَا وَصَنَعْنَا مَصَوْرَةً - كَامِيرَا - وَصَوَّرْتَنَا وَقَدْ أَكَلْنَا الطَّعَامَ الطَّيِّبَ الَّذِي طَبَّخَتْهُ الْعَاقِبَةُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، ثُمَّ خَرَجْنَا وَنَسِينَا أَنْ نَقُولَ لِصَاحِبِ الدَّارِ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا، فَمَا يَكُونُ حَالُنَا إِذَا نَظَرْنَا بِمَا صَوَّرْتَهُ الْمَصَوْرَةُ؟! لَقَدْ نَسِينَا أَنْ نَشْكُرَ صَاحِبَ الطَّعَامِ، اسْتَغْلَنَّا بِالطَّعَامِ عَنْ صَاحِبِ الطَّعَامِ.



انتقل من النعمة إلى المنعم

حَالُنَا فِي الدُّنْيَا أَنَا عَلَى مَائِدَةِ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْمَائِدَةُ الْيَوْمَ كَانَتْ مَائِدَةُ اللَّهِ، وَكُلُّ الْمَوَائِدِ مَوَائِدُ اللَّهِ، فَكَيْفَ نَتَشَغَلُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعِمِ فَلَا نَشْكُرُهُ وَنَقُولُ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ! نِعْمَةُ الْمَاءِ، نِعْمَةُ الطَّعَامِ، نِعْمَةُ الزَّوْجَةِ، نِعْمَةُ الْوَلَدِ، فَلَمَّا يَشْتَغِلِ الْإِنْسَانُ بِالنِّعْمَةِ وَيَنْسَى الْمُنْعِمَ جَلَّ جَلَالُهُ فَإِنَّهُ يُغْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنْهُ، وَشَيْخُنَا دَائِمًا يَقُولُ: لَا تَبْقَ مَعَ النِّعْمَةِ، انْتَقِلْ مِنَ النِّعْمَةِ إِلَى الْمُنْعِمِ، لِأَنَّ الْمُنْعِمَ جَلَّ جَلَالُهُ عِنْدَهُ الْجَمَالُ، وَعِنْدَهُ الْكَمَالُ، وَعِنْدَهُ الْعَطَاءُ وَالنِّوَالُ، أَمَّا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فَزَائِلَةٌ، لَكِنْ مَا الَّذِي يَبْقَى؟ يَبْقَى الْمُنْعِمُ جَلَّ جَلَالُهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)

(سورة الرحمن)

فابق مع الله جلَّ جلاله، ولا تبق مع النعمة الزائلة، تستمتع بالنعمة دون أن تنسى المنعم.
أُغْلِقْ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ بَيْتَةِ أَشْيَاءٍ: اسْتَغَالَهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا.

2- رَغْبُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ.



العلم ما عَمِلَ بِهِ

فالعلم ما عَمِلَ بِهِ فَإِنْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ كَانَ الْجَهْلُ أَوَّلَى، لَأَنَّ الْجَاهِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبَّمَا يَقُولُ: يَا رَبِّ كُنْتُ جَاهِلًا، وَلَا يُعَذِّرُ الْإِنْسَانُ بِجَهْلِهِ مَا دَامَ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ تَبْقَى جَرِمَتُهُ أَقْلًا
مَنْ تَعَلَّمَ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عِلَّمَ، لِذَلِكَ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ: لَا يَنْبَغِي أَنْ نَشْغَلَ بِالْعِلْمِ عَنِ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

(سورة المجادلة)

في آية ثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (10)

(سورة فاطر)

فالعلم والعمل قيمتان اعتمدتهما القرآن الكريم للتريج بين الخلق، لكنَّه العلم الذي يؤدي إلى العمل، أما العلم الذي لا يؤدي إلى عمل فلا قيمة له.
أيها الكرام؛ أُغْلِقْ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ بَيْتَةِ أَشْيَاءٍ: اسْتَغَالَهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا، وَرَغْبُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ.

3- الْمُسْتَارَعَةُ إِلَى الذَّنْبِ وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ

نحن أُمِرْنَا أَنْ نُسَارِعَ إِلَى التَّوْبَةِ وَأَنْ نُؤَخِّرَ الذَّنْبَ، فَإِذَا بِالْبَعْضِ يُسَارِعُ إِلَى الذَّنْبِ وَتُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ، يَقُولُ: سَوْفَ أَتُوبُ، وَ(سَوْفَ) جَنْدِيٌّ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَقَدْ قَالُوا:
لَا تَقُلْ: حَتَّى أَنْهِيَ الدِّرَاسَةَ أَوْ أَدِّبُ بِالِاسْتِقَامَةِ، بَلْ اسْتَقِمِ الْآنَ، لَا تَقُلْ: يَنْتَهِي هَذَا الْمَشْرُوعُ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَشْرُوعَاتٌ قَادِمَةٌ بِالرَّيَا، بَلْ بَدَأْ بِهَذَا الْمَشْرُوعِ أَوْفَقُ الرِّبَا، فَمَا أَدْرَاكَ أَنَّكَ تَعِيشُ إِلَى الْمَشْرُوعِ
الَّذِي يَلِيهِ! نَمْ قَدْ تَقُولُ: أَنْتَرُوحُ نَمْ اسْتَقِيمْ، وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّكَ سَتَنْتَرُوحُ يَا أَخِي! وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّكَ تَمُوتُ قَبْلَ أَنْ تَنْتَرُوحَ، فَلَا تَقُلْ: سَوْفَ وَخْتُ، وَقَدْ قِيلَ: هَلْكَ الْمُسَوِّفُونَ.

فالإِنسان لا ينبغي أن يقول: سَوْفَ، وإنما يُبادر الآن إلى التوبة ويُؤخِّر الذنب، يترك الذنب، كلنا ذو خطيئة لكن الإنسان ينبغي أن يبادر إلى باب الله. أُعْلِقَ تَابُ التوفيقِ عَنِ الخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ: اسْتَعَالَهُمْ بالنعمة عَنْ شُكْرِهَا، ورَغِبَهُمْ في العلمِ وَتَرْكَهُمُ العملَ، والمُسَارَعَةُ إلى الذَّنْبِ مع تأخير التوبة.

4- الاغترارُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وتركُ الاقتداءِ بِفعالِهِمْ

قالوا: المَخْرُومُ مَنْ حَرِمَ مَنْ تَرَكَ أَهْلَ رَمَائِهِ.



أهمية الاقتداء بأفعال الصالحين

والله أيها الكرام: شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي جزاه الله عنا كل خير، ومن بركة الزمان، وجلوسنا اليوم في مجلسه فضل من الله، لأن آخرين يجلسون والعياذ بالله في مجالس اللهو، ويقول لك: التقطت صورة مع الفنان الفلاني ممن ساءت سيرته نسأل الله العافية، لكن نحن أكرمنا الله عز وجل بأن نجلس مع الصالحين لكن لا ينبغي أن نغتر بهذا الجلوس دون أن نقدري فعاليتهم، كان لشيخنا مثل جميل جداً يقول: إن مستخدماً -والمستخدم على العين والرأس- قد يكون خيراً من مدير الشركة، لكن استغل غياب المدير العام عن الشركة ودخل وجلس خلف المكتب، هل أصبح مديراً للشركة؟ لا، لأنه يحتاج إلى ابتدائية وإعدادية وثانوية، ومدير الشركة دكتور، إن لم يبدأ بتحصيل العلم لن يستفيد، فلا ينبغي أن نغتر بصحبة الصالحين، نعم نصابهم وهم بركتنا ونسأل الله أن يرحمنا ببركتهم هذا مطلوب وليس فيه أي إشكال:

{ رَبِّ فِيهِمْ قُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: وَلَهُ عَقَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَسْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }

(رواه مسلم)

(هُمُ الْقَوْمُ لَا يَسْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) كما صحَّ في الحديث، بعضنا يأخذ بيد بعض إن شاء الله، وضحيتنا للصالحين فيها خير، لكن لا نغتر بها، جلسنا مع الشيخ، أخذنا صورة تذكارية ورجعنا إلى أعمالنا المخالفة للشرعية، والله ما فعلنا شيئاً، لكن ينبغي أن نبدأ نصح لنا الشيخ، نقدري بما قاله شيخنا، نقدري بِفَعَالِهِ وأخلاقه وَعِلْمِهِ، وبكل الصالحين. أُعْلِقَ تَابُ التوفيقِ عَنِ الخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ: اسْتَعَالَهُمْ بالنعمة عَنْ شُكْرِهَا، ورَغِبَهُمْ في العلمِ وَتَرْكَهُمُ العملَ، والمُسَارَعَةُ إلى الذَّنْبِ وتأخير التوبة، والاعترارُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وتركُ الاقتداءِ بِفعالِهِمْ.

5- إِبْتَارُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهَا وَإِقْبَالُ الآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا

نحن منذ خُلِقْنَا استدبرْنَا الدنيا واستقبلْنَا الآخرة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30)

(سورة الزمر)



نحن في الدنيا ضيوف

نحن محكومون بالموت مع وقف التنفيذ، متى يأتي التنفيذ؟ الله أعلم، لكن حُكِّمنا بالموت منذ خُلِقنا، وجئنا للدنيا على هذا الشرط أننا سنموت، فاستدبرنا الدنيا، أصبحت الدنيا وراءنا فالإنسان ينظر إلى ورائه أم ينظر إلى ما سيأتي؟ قال: إِدْبَارُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهَا وَإِقْبَالُ الآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا، شيءٌ غريب، أنت الآن ذاهبٌ إلى هناك انظر ماذا ستفعل هناك، أما بيتك فقد تركته، انتهى، استقيل ما سيأتي واستدبر ما مضى فالدنيا مضت، انتهت، كلنا انتهت دنيانا، الآن في هذه اللحظة والله الدنيا انتهت، كم بقي لكل واحدٍ مئةً عشرةً أو عشرون أو ثلاثون أو أربعون سنة؟ انتهت، الدنيا انتهت، نحن مُقبلون على الآخرة، نحن أبناء الآخرة، نحن في الدنيا ضيوفٌ هذه ليست دار مقامٍ لنا جئنا إليها ضيوفًا وسنغادر، المقام في الآخرة، فينبغي أن نعمل لما نستقبله لا لما نستدبره، وهذا لا يعني ترك العمل في الدنيا، لا، أبدًا، ولكن يعني ترك العمل للدنيا، فنحن لا نعمل لدنيانا، لكن نعمل فيها، نبني فيها بيتًا ونزوّج ونُحب ونأكل ونشرب لكن ههنا الآخرة، لذلك في الحديث:

{ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو يَهْؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَائِهِ: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ حَسَنَاتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا نُهَوِّى بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا }

(رواه الترمذي)

(اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا) لم يقل: لا تجعل الدنيا هَمِّنا، من ذا الذي لا تكون الدنيا همًّا من همومه! يريد أن يزوّج أولاده وبناته، ويريد أن يشتري بيتًا، وأن يؤسس عملاً، كلنا الدنيا همٌّ من همومنا، لكنها ليست أكبر همٍّ المؤمن، أكبر همٍّ هو الآخرة والدنيا يأخذ منها بما يوصله إلى الهدف وبما يُعينه على الهدف، فإن كان المال يُعينه على طاعة الله فيا حبذا المال، وإن وجد أنه يصرفه عن طاعة الله فالحمد لله أن صرّف عني المال، وهكذا.

أُعْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ بَيْتِهِ أَشْيَاءُ: اسْتَغَالَهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا، وَرَغِبَهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ، وَالمُسَارَعَةُ إِلَى الذَّنْبِ وتأخيرُ التَّوْبَةِ، والاعتراضُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وتركُ الاقْتِدَاءِ بِفَعَالِهِمْ، وَإِدْبَارُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهَا، وَإِقْبَالُ الآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا.

بارك الله بشيخنا ونفعنا بعلمه.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ